

لأنه يابسة الكعبة الحبيبة

هل لي أيضاً أن أقتبس ما قاله الكاتب البريطاني الشهير جون رسكين عن تدهور مدينة البندقية:

”أصبح نور البندقية نور جثمان“
في المثلثين أعلاه لا يشكل الموت نهاية حتمية. بل امتداد بصورة ما. تحول وصيرورة إن شئت. هل هذا حقاً ما نعتقده بأن الموت امتداد طبيعي للحياة، أم أننا، جراء خوفنا من مواجهة الراي المخيف القاتل: ”من التراب وإلى التراب“ نشئبت بأية صيغة من البيعت **Resurrection**. أو تناسخ الأرواح **Transmigration of souls**؟ أو ربما الولادة الجديدة **Rebirth**؟ مثل هذه المعتقدات (أو ربما الأفضل تسميتها (**wishful thinking**ناصفةً للأطمئنان على شعور باللا عدم الكلي أو الانسحاق التام من الوجود. شعور بهدف ما من وراء وجودنا. وإلا فقد تفسر الحياة على أنها عبثية وخالية من أي معنى محتمل أو ممكن.

تدلنا التديونات على أن مصطلحات كالبيعت وتناسخ الأرواح وما إليها، “كانت مقبولة لدى فلاسفة مثل أفلاطون وفيثاغورس وشعراء مثل شيللي وتينيسون وروزورث، وأمن بها كثيرون في الشرق كما في الغرب(١).

ما من أحد يعرف على وجه الدقة، كيف؟ أو متى؟ أو أين ظهرت هذه الأفكار؟ إلا أن السومريين جنوبي العراق يخبروننا بأن الأعمال الشريرة التي تصيب المدن إنما هي أعمال شار يقوم بها الأموات إذا قصر ذورهم من الأحياء عن تقديم التذور اللازمة لهم بانتظام. بمعنى آخر، فإن الأموات السومريين ليسوا أمواتاً بالكامل. إذ بإمكانهم أن يخرجوا من قبورهم متى ما شعروا بأنهم مهملون، فيعيثون فسادا بمتلكات أهلهم.

المفهوم من تاريخ السومريين أن مآسي الجنس البشري نجتحت حينما قامت السماء باستعباد الأرض بعد انفصالهما عن بعض. أصبحت الأرض عندئذ ميداناً لحروب الآلهة وانصافها المتناسكة المتنافسة.

الشيء بالشيء يذكر، يتفق نقاد المسرح على أن أبطال شيكسبير لا يبعسون ولا يمثلون أنفسهم. إنهم ليسوا هم. مجرد أوعية لقوى خفية. دمي لا أقل، لا أكثر. أو مجرد وسائل لنقل الأفكار، كالأسلاك تنقل الشحنات الكهربائية ولا تولدها.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الأشباح في مسرحيات شيكسبير، تتخذ صيغها فعالة تغير مجرى الأحداث، وهي على نوعين،موضعي وذاتي. النوع الأول يراه الجمهور، أما النوع الثاني فلا يراه إلا شخص واحد. مثلاً: شبح والد هاملت يراه النظارة، بينما في مخدع الملكة لا يراه إلا هاملت. الملكة لم تره أبداً.” لذا “فالشبح الأول حقيقي لأنه عام،

بينما الثاني متخيل لأنه خاص”(٢)
من المحتمل أن المفكرين الإغريق كانوا من الأوائل الذين سنوا العلاقة بين الإنسان كجرم صغير وبين الكون كعالم كبير. (ابن عربي على وجه الخصوص تأثر بهذا التصور). الإنسان- حسب معتقداتهم- يؤثر في الكون، إلا أن الكون لا يؤثر في الإنسان. النجم الذي يولد تحته الإنسان هو الوحيد القادر على التلاعب بمصير الإنسان. لذا إن أن تصور عظم إحباطات وآلام الملوك الشيكسبيريين لا سيما وهم يحاولون باستماتة، التمرد على أقدارهم أي على نجومهم.

قد يكون من المفيد عند هذا الحد أن نذكر ملحمة كلكامش. فيعد وفاة البطل العروبي انكيبدو. تصور كلكامش أنه هو كذلك معرض للموت. وحتى يخلد كيانه، قام بمغامرات البحار السبعة للقاء “إوتنابشتم” وهو “الإنسان الوحيد المعروف باكتشافه سر الحياة..إن الملحمة بكاملها عبارة عن قصة رجل واحد يفتش عن المجد والحياة السرمدية“.

معظم الأديان الرئيسية تقريبا تؤمن بالحياة أو البعث بعد الموت، إلا أنها غامضة، بدرجة أو أخرى، بشأن تناسخ الأرواح. بالإضافة إلى ذلك فإن المومياءات المصرية شاهدة على فكرة البعث.

على أية حال، يبدو أن بعض الطوائف الصوفية ممن أمنت بالحلول لم تشكك الصبر الكافي للانتظار يوم الحشر، بلتمتع بثمار مجاهداتهم وبالحوار العين تحديداً، فراحوا يتخيلون “اتصالاً وانصافاً”، فأصبحت المرة في نظرهم معبودة لأن الذات الإلهية تطننتها.

أما بوذا الذي “ينكر دوام تناسخ الأرواح” فقد طور معرفة في الإدراك السبقي **Retro-cognition**مكتنحه من التعرف على حيواته الماضية، يقول بوذا : “ إن حيواتي السابقة هي كما يلي: أولاً حياة واحدة، ومن ثم حياتان، ومن ثم ثلاث حيوات، أربع، خمس، عشر، عشرون، إلى خمسين حياة، ومن ثم مائة، ألف، مائة ألف، وهكذا دواليك”(٣)

هذه الحيوانات المسلم بها في اليودية، أصبحت منذ بدايات القرن العشرين، موضع شك، ربما لأول مرة، بالنسبة لبعض الشعراء العرب الذين راحوا يمتحنون معنى وجودهم، مدفوعين بتلقي هو في جملته وجودي، لدرجة أنهم استدفوا حتى الموت الميتافيزيقي من الرومانسيين الأوروبيين، فنشروا بمنى.

الموت مخلص إذن. الموت لم يعد مهلكاً أو متلفاً. كتب الشاعر اللبناني إيليا أبو ماضي أشهر قصيدة في الحيرة، في اللغة العربية: أي “الطلاس”:

” جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرت قُدّامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقي ماشياً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت كيف أبصرت طريقتي
لست أدري

وطريقي ما طريقي أطويل أم قصير
أنا السائر في الدرب أم الدرب يسير
...أم كلانا واقفٌ والدهر يجري
لست أدري

هكذا بحيلتي فثَبَّيتنِ تمكّن أبو ماضي من تكبير حجم الجحيرة: الأولى حينما جعلها حيرة فرد واحد، وما من أحد يطمئنُه، أو يواسيه. أي جعله مثل غرق يعاني لوحده. لا أحد يستغيث به، ولا ضفة تشجعه على المواصلة الحثيثة. الثانية هي هذه اللازمة الخفية في نهاية كل مقطع: “لست أدري” وكأنها شمعى أحمر على محتويات خطيرة.

أما الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي، فقد كان في أوائل عشرينياته حينما كتب قصيدة: “في ظل وادي الموت“:
”نحن نشي وجولنا هذه الأكوان
تشي لكن لأية غايه؟
نحن نشدو مع العصفائر للنشم
وهذا الربيع ينفخ نايه
نحن نتلو رواية الكون للموت
ولكن ماذا ختام الروايه؟
هكذا قلت للحياة فقالت:
سَل ضمير الوجود كيف البداية“

الجحيرة: “نحن نمشي”، السردية الأقرب إلى البرودة، يكون الشاعر قد أتته دون سواه إلى شئ لم يتحدد بعد، ولكنه مع ذلك يثير الفضول. وبكلمة: “حولنا” وسع الشاعر من مساحة الصورة ليتوسع معها فضول القارئ. وبكلمة: “ الأكوان” يامتداد الفها وجمعها المكسر وموسيقاها جعلنا المقابل ضلّاه بالنسبة إلى الأكوان، أي وضع حجماً نحن مقابل حجم الأكوان. وما يزيد في الحيرة أنها تشي نحن ليس لديها وقت للإجابة ولا حتى نصف الشافية. من هنا تأخذ جملة: لكن لأية غايه”، أهمية استثنائية. أما في البيت الثاني:

نحن نشدو مع العصفائر للنشم
وهذا الربيع ينفخ نايه
فتفكر نحن” وكذلك في البيت التالي:
”نحن نتلو”، وكان الشاعر يؤكد على تغيراتنا في الموقع فقط من ناحية وعلى ثبات حيرتنا في الوقت نفسه.
مرة أخرى نرى صغر العصفائر بالمقارنة إلى سعة انتشار الشمس. الشمس أصغر تعطي بعداً عالياً للصوره بينما تعطي جملة:”ينفخ نايه” بعداً امتدادياً أفضياً.

اعتبر الشابي، الحياة مسرحية (كانت تسمى وقتها رواية)

صلاح نيبازي



صلاح نيبازي

(وجه بينالي الشعر العالمي الذي يعقد مرة كل سنتين بمدينة لييج ببلجيكا دعوة إلى الشاعر العراقي المغرب صلاح نيبازي للمساهمة في موضوع “لا نهاية للكانن الحي”. أدناه ترجمة الشاعر لمداخلته، مشكورا.)
وصف شاعر ياباني بقصيدة قصيرة مؤثرة، موكب تشبيع فراشة. مكان التشبيع لا يخلو من غرابة. على الماء. الفراشة، وكأنها في “ترفاناً” أو في أعرق غيبوبة، طافية بسلام على أمواج بحيرة مظلمة يضيئها قمر ناعم ذو بياض مترف.

أنوان الفراشة تتنفس بأزدهاء حيوية. الموكب يسير بهربة وخشوع جراً سكبنة الليل. سكبنة الليل وجوم منخطف.

هكذا يصور الشاعر بحنق، جمال الموت و هارمونيته، وفي الوقت نفسه يجعلنا، وإن لفترة قصيرة، ننسى موت الفراشة الماسوي.

الثقة اافة في السليمانية

نذهب لمشاهدة فعالية للفرقة السفمونية في السليمانية وفي قاعة صغيرة امتلات بالحضور الذين كان اغلبهم متعبين ولكن حين عزفت الفرقة السفمونية ذهب التعب وانعدت السعادة بالتصفيق كانت منظومات لموسيقيين من القرن الثامن عشر واخرى من القرن العشرين توجي بمقدرة العازفين على التوغل في اعماق تاريخ الموسيقى واصطباد ماهو مؤثر وقدمت شابة كردية اسمها (كيران ابراهيم) وصلات اورالية مع الفرقة السفمونية امتعت الحضور وذكرتهم باسمهان واصوات قوية اخرى .

في اليوم الثاني ذهبننا باتجاه ثقافة العنف اقصد متحف السليمانية الذي كان مقرا لامن صدام وفيه اقترفت الاف الجرائم . في هذا السجن شاهدنا معرضا للكاركتير وفيه تظهر شخصيات جلال الطالباني ومسعود برزاني في مشاهد نقدية ومن الواضح لم يعترض عليها احد وبعد ذلك ذهبننا الى قاعة كبيرة تحتوي على اكثر من (٥٠) لوحة تشكيلية كان بعضها ينتمي الى المدارس الحديثة ويعتمد التجريد والتعبيرية الرمزية والكولاج والبعض الآخر تمسك بموضوعات جسدت نضال الشعب الكردي والمتوارث من خلال لوحات انطباعية.وبعد هذه القاعة اتجهنا الى قاعة اخرى احتضت على معرض للفوتوغراف معرض فريصد جمال كردستان واجزاء خفية مابين الجبال الكثير من الاصدقاة ادهشوا امام صور كانها مرسومة وشارك في هذا المعرض المصورون: طه لطيف، سامي حمه مؤمن، طلاح الدين عباس، هاورى عزيز، فاتح حمه صالح. قبالة هذه القاعة توجد جحلات عسكرية ومدافع وديابات من ترके ثقافة صدام المميتة تم اتجهنا الى قاعات ثقافة الموت وهناك شاهدنا غرف اغتصاب النساء وغرف التعذيب وصور الموت التي تجسد كوارث الاكراد.

اطفالا محترقين، أما تنام قرب ابنتها الميت،عجوزا تجرح الخدين باصابعها، دحانا ومدنا نحترق، جنودا يرتدون الزيتوني يضربون شابا بسيطا، كنا نتجول كأننا في مغارة...صلاح نيبازي جمال جمعة توفيق التميمي،احمد سعداوي ، فريدة النقاش واخرون حين بكى صلاح نيبازي ويذا جمال جمعة بتصويره كساد جمال جمعة بيكي...توفيق التميمي قال: لقد جمدنا خالد جمعة وقال عن شقيقه جمال انه غير عاطفي... فعلا لقد احسست بان جمال جمعة في طريقه للصراخ وهو يصور الاسلاك الشائكة وغرفة (الفلقة) ..اخذت فريدة النقاش الى سجن داخله هو عبارة عن شبكة من السجون متداخلة وبعضها انفرادي والبعض الآخر جماعي كانت منذهلة قالت : (دي مغارة)...الخوف كان واضحا على جميع الذين دخلوا الى عالم ثقافة الخوف وذكراها المرعبة التي صحت الصورة لدى بعض الادياء العرب ...انا واحمد سعداوي ذهبننا الى غرفة المرايا وهي غرفة مخيفة شبه دائرية الصقت فيها قطع من المرايا في جميع انحاءها فاضافت جوا كابوسيا لعالم السجن سمعت الروائية هدية حسين تقول بعد ان البناية بحاجة الى عقل ماركيز. هذا انهيئا ثقافة العنف في السليمانية توجهنا الى قمة جبل (ازمر) لتلبية دعوة الاستاذ عمر فتاح وهناك شابت الصدف ان اجلس الى طاولة يحيط بها العديد من الادياء الكرذ وكان افرهم لي الشاعرة (كزال احمد) وهي شاعرة من جبل التسعينيات تبادلنا الحديث التقليدي في البداية ثم بدأت تتحدث لي عن الثقافة في السليمانية وعن الصحف التي تصدر فيها وكذلك عن قوة حركة الترجمة الى الكردية ومنها قالت لي: لقد ترجمت خلال السنوات الماضية اعمال متميزة لكونديرا وكذلك لماركيز وكتاب اتراك واخرين من

جنسيات متعددة وكذلك ترجمت اعمال كتاب اكراد الى الانكليزية والفرنسية وغيرها) كان الشاعر الكبير (شيركو بكيس) يجلس قريبا منا ولكنه التزم الصمت، احد الجالسين كلم (كزال) واخرج لها كتابا جديد عرفته انه كتابه الذي صدر حديثا. كزال احمد وقيل ان اودعها اعطتني قصيدة ترجمها الدكتور بهروز الجاف حملت عنوان: (هولوكوست) تقول فيها:
في آخراق الغروب
في تلك الاوقات التي خلت حتى من فرصة
لالتفاحة
قالوا وداعا ...
ودعا ايها البيت المدمر،
القرية الخاوية ، قريتنا الصغيرة
وداعا ...
لقد محت الانفال رسم الطبيعة
لتعرفنا بالصحراء
وتخلق مأساة مشتركة
من روح ووردنا المقتولة
وجسم رمضانها .
هكذا شاءت الانفال
أن تقول هذا العواصف المؤمنة
يمكنها أن تطمر جيل
وتقول وداعا لشعب لا يبان له
!

كانت كزال بجملاتها الساحر لاتوحي بمشاعرها المنقضة، الغاضبة من التوحش البعني ،بوكذلك لاتوحي بأنها اصدرت اربعة دواوين شعرية ترجم احدها الى الانكليزية. قبل ان نغادر جبل ازمر اعلن الاستاذ فخرى كريم من طاولته وبقص مرتفع عن تبرع الاستاذ عمر فتاح بمبلغ لصندوق التنمية الثقافية. صفق الجميع للاحترام الذي تحظى به الثقافة . بعد ان نزلنا من قمة جبل (ازمر) تفرقت الجموع ولكن اغلبها اخترت ان تذهب الى اسواق السليمانية. في مكتبة متميزة وجدت صحيفة المدى وصحيفة الصباح وصحفا أخرى وكتبا كردية موضوعة

على واجهات المكتبة وبعد ذلك وجدت مكتبة اخرى وتوجد في داخلها كتب باغلظة جديدة.كنت ابحث عن معرض الكتاب الكبير الذي اقيم في السليمانية ولكنني لم اعثر عليه وذهبت باتجاه الاسواق الشعبية وجدت العديد من الشباب بملابس اوروبية يبيعون الكتب بعريات بين شاب واخر اكثر من خمسمئة متر كانوا سبعة شباب وسبع عريات بيع كتب لاتوجد كتب تروج لأحزاب او افكار معينة وكانت العريات تحتوي على القصص وحكايات من التراث الكردي واشعار وكان بعضها لكتاب من اجيال سحيقة ولكن الكتب التي تميزت باجرامها الصغرية توجي بانها مطبوعة بطابع متميزة.

في المساء ذهبننا الى حفلة موسيقية اقامتها فرقة (كه ريان) للموسيقى الشعبية وعزفت هذه الفرقة بقيادة العارف (كاروان محمود) وصلات من التراث الغنائي الكردي وغنى بعض المغنين الاكراد اغاني غزلية واخرى تتفاخر بجمال مدنهم وكذلك حكايات الحب بين افراد من عشائر مختلفة وقام بشرح هذه الاغاني لي شاب يعمل مراسلا في احدى القنوات الكردية اسمه (بلند) وبعد ذلك عزفت فرقة (سه هه ند) الموسيقية معزوفات من الموسيقى الغربية المعاصرة وامتعت الجمهور في الانسان ومجال التوثيق وحفظ الوثائق وأرشفتها واقامة النصب التذكارية .

كما نظمت سفرة سياحية إلى أمن الحمراء ومدينة حلبجة .. حيث قام الوفد بزيارة أمن الحمراء الذي كان سابقا مديرية أمن السليمانية وبعد عام ١٩٩١ تم تحويله إلى متحف للذاكرة في كردستان وقد ابندت الوفود إعجابها بهذا المتحف.
بعد ذلك توجهت الوفود إلى مدينة حلبجة حيث زارت نصب شهداء حلبجة الذي يعبر عن منذحة حلبجة .
كما ألقى الأستاذ عمر فتاح رئيس وزراء إقليم كردستان كلمة في المؤتمر أضاف فيها جهود مؤسسة الأناذرة العراقية في حفظ وتوثيق الوثائق وعملها الدؤوب في تخليد الذكرى ولأهتمامها بمنظمة كردستان العراق .

والقى ممثلو الوفود الأجاب كلمات قدموا فيها شرحا عن تجارب بلدانهم في مجال التوثيق وتخليد الذكرى .. في غواتيمالا وبيورما وكمبوديا وكيفية التعامل مع الوثائق وتوثيقها .
كما قامت السيدة ماري آن ماركرايل (من العراق) ومثلو الوفود الأجاب كلمات قدموا فيها شرحا عن تجارب بلدانهم في مجال التوثيق وتخليد الذكرى .. في غواتيمالا وبيورما وكمبوديا وكيفية التعامل مع الوثائق وتوثيقها .
كما قامت السيدة ماري آن ماركرايل (من العراق) ومثلو الوفود الأجاب كلمات قدموا فيها شرحا عن تجارب بلدانهم في مجال التوثيق وتخليد الذكرى .. في غواتيمالا وبيورما وكمبوديا وكيفية التعامل مع الوثائق وتوثيقها .
كما قامت السيدة ماري آن ماركرايل (من العراق) ومثلو الوفود الأجاب كلمات قدموا فيها شرحا عن تجارب بلدانهم في مجال التوثيق وتخليد الذكرى .. في غواتيمالا وبيورما وكمبوديا وكيفية التعامل مع الوثائق وتوثيقها .

كتابة : محمد الحمراني

الكثير منا نحن المدعويين في اسبوع المدى الثقافي حين وصلنا الى السليمانية بباصات تنزلق بين جبال مخيفة وجميلة لم نكن نعرف شيئا عن الثقافة في السليمانية واعتقدت في سري ان الفرقة القومية للفنون الشعبية التي راقتنا ستقدم وصلات في هذه المدينة العريقة وان الممثلين الذين معنا سيقدمون مسرحياتهم الجميلة التي قدمت في اربيل وكنت اتوقع ان يغني سعدون جابر وكريم منصور وعبد فلك اغانيهم التي سمعناها في قاعات اربيل ولكن لحظات مابعد مقابلتنا للرئيس جلال الطالباني في دوكان اوحت باختلاف البرنامج حين عرفتم من الدليل الذي راقتنا الى الفندق ان برامج ثقافية كردية متعددة ستقدم لضيوف مهرجان المدى. الشاب الكردي واسمه (ازاد) جلس قريبا .كان المرة بسياراتهم الصغيرة يحيون ازاد ويبتسمون له ويكلمونه باللغة الكردية كنت اعتقد بان ذلك نوع من مجاملة مع شاب وسيم وظريف ولكنني تضاجعت حين قال لي: (انا ممثل) واضاف: (الناس الذين يسلمون على يديكروني بالردول الذي قمت به مؤخرا في الشبكة التي تشرف عليها (هيرو خانم) زوجة مام جلال... بلدانا نتحدث عن الفن في العراق وتعلم اللغة العربية لهنم الايات الفن في المحيط العربي. حين وصلنا الى فندق ابو سناء متعبين من طريق اربيل الجميل والمخيف طلب منا منسق البرنامج ان تقضي ثلاث ساعات ثم

مؤتمر السليمانية للتوثيق وتخليد الذكرى

• بعد ذلك ألقى الدكتور باسل عبد الوهاب العزاوي رئيس الفوضية العراقية لمؤسسات المجتمع المدني محاضرة حول حقوق الإنسان في العراق حيث بين للحاضرين أن العراق قوميات متعددة تتعايش فيما بينها بسلام ومودة.

وتطرق الدكتور باسل إلى مؤسسة الذاكرة العراقية وامكاناتها في مجال توثيق التاريخ



صربيا) من المركز الدولي للعدالة الاجتماعية –المستشارة القانونية السابقة المؤسسة التاريخ الشفهي بإلقاء محاضرة حول التاريخ الشفهي وأهميته في المجتمعات التي مرت بفترة وحشية قام بها الحكام يقتل جماعي .. كما تحدثت عن آلية العمل في التاريخ الشفهي والصعوبات التي تواجه كادر التاريخ الشفهي .. كما تحدثت عن أسلوب العمل في هذه المشاريع ..

•وعلى هامش المؤتمر تم عمل ورشة نقاشية وحوارية بإشراف السيد لويس بيكتفود من المركز الدولي للعدالة الانتقالية الذي استعرض فيها النصب التذكارية وقتونها وتأثيرها في المجتمعات التي مرت بفترة حكم تعسفي ..
• كما اقيمت ورشة حوار لبيان آلية وتقنية حفظ الوثائق ومشروع التاريخ الشفهي المصور في مؤسسة الذاكرة العراقية اشترك فيها كادر مؤسسة الذاكرة العراقية وقد جرى حوار مع ممثلي المنظمات والمؤسسات التي تعنى بحقوق الإنسان والعملية التوثيقية، بعد ذلك تم عرض إحدى الشهادات التي أنتجتها مؤسسة الذاكرة العراقية وكان تأثيرها كبيرا على الحاضرين .
•واقترح المؤتمرين في هذه الورشة تشبيك منظماتهم مع مؤسسة الذاكرة العراقية وتأسيس شبكة للتوثيق وتخليد الذكرى وطرح اسم ((الشبكة العراقية للتوثيق وتخليد الذكرى)).